
كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

برثولماوس
التلميذ المشهور بشفافيته

العبارة اللاتينية المألوفة Multum in Parvo تعني «كثير من قليل» وكل ما نعرفه من الكتاب المقدس عن شخصية برثولماوس مستمد من السبعة الأعداد التي يقدمها يوحنا في الأصحاح الافتتاحي لإنجيله. وخلاف ذلك ليس لدينا مصدر آخر عن نوعية هذا الرجل. ومع ذلك فهناك مشهد هائل يمكننا أن نراه من خلال نافذة ذات سبعة ألواح زجاجية، وهي طريقة أخرى للقول بأنه يمكن التوصل لأشياء كثيرة من أشياء قليلة (يو ١:٤٥-٥١).

بينما تبدو البدايات الأولى للمسيحية غامضة تقريباً، واللقاء الأول ليسوع مع خمسة رجال مغمورين هم أندراوس وبطرس وفيلبس ونثنائيل وشخص آخر مجهول الاسم، حدثاً غير هام في تاريخ الكنيسة. إلا أنهم أصبحوا المرافقين الدائمين للمسيح، ورسلاً على جانب كبير من الفاعلية والتأثير. يلاحظ أن ذكر نثنائيل جاء أكثر تفصيلاً وأكثر تشويقاً عنه في حالة الأربعة الآخرين في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا، ومن المدهش أنه يخبرنا بالكثير في هذا الأصحاح عن شخص لا نعرف عنه شيئاً تقريباً. ومع أنه رجل على جانب كبير من التفوق الأخلاقي، إلا أن تاريخ حياة نثنائيل يقتصر عملياً على هذا الأصحاح التمهيدي من إنجيل يوحنا، ومع ذلك فهذا يكفي لدراسة شخصيته.

١- رجل ذو اسم مزدوج

في حقيقة الأمر، فالاسم الكامل للرسول الذي نحن بصدده الآن هو نثنائيل برثولماوس، لأن الإجماع بين أفضل ومعظم المعلقين الذين يعتمد عليهم هو أن نثنائيل الذي يذكره يوحنا (١:٤٥-٥١، ٢١:٢)، هو برثولماوس المذكور في قوائم الرسل في سفر أعمال الرسل والأناجيل الأخرى



الثلاثة (مت ١٠:٣، مر ٣:١٨، لو ٦:١٤، أع ١:١٣). ربما يمكننا أن نحاول جمع الأدلة على أن نثنائيل هو برثولماوس، فقد كان من المألوف على نطاق واسع بأن يكون للشخص أكثر من اسم – وهي حقيقة توضحها الدائرة الرسولية. فقد كان سمعان يلقب ببطرس وبار يونا وكان متي يدعى لاوي، وكان لباوس وتداوس ويهوذا أسماء لشخصية واحدة، كما سوف نكتشف حالاً، ومن الممارسات العامة اليوم أن يكون للناس أكثر من اسم، فعلى سبيل المثال، فإن اسمي بالكامل هو هربرت هنري جون لوكير إذن فبارتولماي Bar-Tolmai الاسم المقابل لبرثولماوس كان لقب نثنائيل.

ما معنى تولماي أو تلماي (٢صم ١٣:٣٧) كانت تعيش بين اليهود طائفة تعرف باسم تولماينز Tholmaens، نسبة إلى تولماي، تلميذ هيبير Heper، وهو معلم عبراني قديم،

من المحتمل أن نثنائيل الذي كان ضليعاً في الكتاب المقدس، قد تمسك بهذه المدرسة الفكرية التي كان الاهتمام منصباً فيها على الكتب المقدسة، كان «ابن تولماني» اسماً شائعاً بين اليهود في زمن المسيح. وكان الاسم برثولماوس يعد لقباً عائلياً بأكثر مما يعد اسماً لشخص ويعرف وبستر كلمة Patronymic بأنها تعني «اسم مكون بإضافة حروف في المقدمة أو المؤخرة يدل على العلاقة باسم أبي الشخص أو جده، كما نقول إن «جونسون» (Johnson) هو ابن جون، وهكذا.

والدليل على أن برثولماوس ونثنائيل اسمان لشخص واحد يمكن تقديمه بهذه الطريقة، ذكر يوحنا نثنائيل مرتين، وفي أول مناسبة يضعه يوحنا وسط التلاميذ الأوائل الذين يستجيبون لدعوة يسوع. والقصة المطولة نوعاً من دعوته غير مناسبة تماماً ما لم يكن قد أسند إليه فيما بعد عمل الرسول. ثم يذكر يوحنا نثنائيل كواحد من بين السبعة تلاميذ الذين عادوا لمهنة صيد السمك (٢:٢١). ويفترض أن كلمة «تلاميذ» هنا مساوية لكلمة «رسل» خاصة أن نثنائيل قد اختير ليكون شاهداً شخصياً على قيامة الرب - وهو امتياز عظيم ومجيد!

ثم عن طريق عملية الاستبعاد فإن الدليل التراكمي فيما يختص بالتطابق بين برثولماوس ونثنائيل يصبح أكثر إقناعاً. عندما نتجه إلى رواية يوحنا عن نثنائيل نجده مرتبطاً ببطرس، وأندراوس، وفيلبس (٢:٢١). في هاتين الحادثتين نجد حديثاً عن ستة من جماعة الرسل. إن نثنائيل لا يمكن أن يكون متى الذي كان يدعى لاوي، ولا يعقوب الصغير، قريب المسيح - ثم أن نثنائيل لم يكن قد التقى بالمسيح حتى قدمه فيلبس. وهذا حديث عن ثمانية من الاثنى عشر. كان من المستحيل أن يكون نثنائيل يهوذا الخائن أو يهوذا الآخر الذي سأل المسيح كيف يمكنه أن يظهر نفسه لأحبائه وليس للعالم.

وهكذا نجد أنفسنا مع سمعان الغيور، وشخص آخر. حسناً، مهما يكن من أمر نثنائيل، فهو لم يكن بالتأكيد ثورياً وشخصيته الواضحة البراءة لم تكن تؤهله للتغييرات العنيفة التي يقوم بها الغيورون. وهناك دليل آخر يبقى عن طريق الاستنتاج في أناجيل متى ومرقس ولوقا، فحيثما يذكر أسماء الرسل، يذكر فيلبس وبرثولماوس جنباً إلى جنب، وهذا الربط بين الاثنين لافت للنظر في ضوء ربط يوحنا بين فيلبس ونثنائيل كرفيقين. من الواضح أنهما كانا صديقين، فمن كان الأكثر احتمالاً أن يصبح تلميذاً للمسيح بأكثر منه صديقاً له؟ لذلك كان الشيء الأكثر تلقائية من أي شيء آخر بالنسبة لفيلبس أن يجري إلى نثنائيل بالخبر المفاجيء والمثير أنه قد وجد المسيا. من غيره كان يمكن أن يفرح لهذا الخبر المثير غير أعز صديق لديه؟ الاستنتاج الوحيد الذي يمكن استخلاصه من تلك المفارقة بين النصوص المختلفة هو أن الرسول الرفيق لفيلبس، برثولماوس، هو نفسه نثنائيل الذي نجح في الإتيان به إلى يسوع في ذلك اليوم الذي لا ينسى.

أما عن معنى هذين الاسمين، فإن برثولماوس كما ذكرنا، هو لقب نثنائيل وقد كان لقباً محبوباً جداً في العصور الوسطى عندما كان مذهب القديس برثولماوس في أوج قوته، كان مستشفى لندني شهير يحمل اسمه قد تأسس في القرن الثاني عشر، وكانت هناك سوق خيرية تقام في لندن لجمع الأموال اللازمة للمستشفى. وقد استمر هذا السوق مركزاً لحياة المدينة عدة قرون حتى أغلق في القرن التاسع عشر. والقديس برثولماوس، كما كان يطلق عليه، يقال إنه استشهد في أرمينيا ٤٤م (انظر الفصل التالي). إن المذبحة الشهيرة باسم المذبحة الوحشية للفرنسيين الهوجونت (البروتستانت) في عهد الملك تشارلس

التاسع، بدأت في عيد القديس برثولماوس، ٢٤ أغسطس ١٥٧٢، بايعاز من كاترين دي ميدتشي، أم الملك الصغير، والسجلات الرسمية تقول إن حوالي ٣٠,٠٠٠ من الرجال والنساء الشجعان قد قُتلوا في ظل هذا الاضطهاد المروع.

وكلمة نثنائيل «هبة الله» من المرجح أن الاسم من اختيار والدي نثنائيل للتعبير عن الامتنان الأبوي التقوي بخصوص ميلاده. وهذا الاسم العبري يماثل الاسم اليوناني «تيودور» والموجود أيضاً في الاسم «دوريثا» (انظر عد ١:٨، ١أخ ١٤:٢)

الاسم موجود في العهد القديم في ثلاثة أشكال

ناثان، النبي الذي وقف بجانب داود كثيراً.

الناثان، أحد الأمراء في وقت إرميا.

نثنائيل، أمير في أيام يشوع، أخو دادو، ابن عوبيد أدوم.

٢- رجل تعلم عن المسيح كلي المعرفة

نتأمل في هذا الجانب من حياة الرسول في مرحلة تالية، لأنه قبل أن يرى ويعرف يسوع، عرف المسيح كل شيء عن نثنائيل «وأنت تحت التينة رأيتك» (يو ١:٤٨،٥٠). لاشك أن هذا الإعلان عن تلك السمة هي التي دعت يوحنا ليمضي إلى القول: «كان يعرف الجميع، لأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان» (يو ٢:٢٤،٢٥) اعترف المرنم أن الرب عرف عنه كل شيء، وفهم فكره من بعيد (مز ١٣٩:١-١١) وكالرب العليم بكل شيء، فلا أحد ولا شيء يمكن أن يتوارى منه. وكما يعبر اليكوت عن ذلك في تعليقه على نثنائيل فيقول «بالرغم أنه ظن أن العيون لا تراه، إلا أن المسيح الذي كان يتطلع لمجيئه كل إسرائيلي حقيقي، قد رآه، وقد كان قربه في متناول اليد. ولكنه كان قريباً على صورة إنسان، مما يصعب على البشر قراءة الجانب الإلهي فيه. وفي أحداث الحياة العادية يجد الناس من الصعوبة بمكان أن يدركوا الله، معلم متجول! إنه المسيا، من الناصرة يخرج كل شيء صالح! لم يكن إذن هذا اللقاء، هو الأول، فقد كان هناك حضور مسياني حقيقي في الفكر الداخلي لنثنائيل، والآن فقد فوجيء نثنائيل وسأل المسيح «من أين تعرفني؟» ولكن المسيا كان موجوداً في كل مكان «قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك».

ألا نستطيع أن نقدر لماذا سأل نثنائيل في اندهاش، من أين تعرفني؟ فحتى تلك اللحظة، لم يلتق هو ويسوع من قبل، ولم يتكلم كل منهما مع الآخر حتى جمعهما فيلبس معاً، ولكن كنتيجة للقائهما الأول قد اقتنع نثنائيل أن أفكاره السرية ورغباته كانت كلها مكشوفة لذلك الرجل الذي من الناصرة: أن المنطقة الداخلية من الإلهام كانت كالكتاب المفتوح أمامه. إن هذه الحقيقة من المعرفة الإلهية الفاحصة للقلب تبعث على التعقل والصحو، فنحن نادراً ما نتوقف لنفكر في أن الله يعرف كل شيء، وأن عينه ترى أعماق كياننا، وأنه يعرف كل ما بداخلنا. كثيراً ما نصلي طالبين حضوره، في حين أن طلبتنا يجب أن تكون أن نعرف ونتعزى بحضوره، لأن حضوره واقع فعلي ملموس بالنسبة لنا. ليتنا لا ننسى نظرته الشفوقة والفاحصة في نفس الوقت في اللحظات التي تقترب فيها الخطية منا سواء كانت خطية سرية أو علنية! وبما أن المسيح عرف نثنائيل وعرف كل شيء عنه قبل أن يعرف نثنائيل المعلم ويعرفه، فهكذا كما فعل ابو الابن الضال، فهو يرى الخاطيء «من بعيد».

٣- رجل صديق

ياله من فصل مؤثر عن العمل الفردي لربح النفوس، ذلك الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا! فيوحنا المعمدان يلتقي بحمل الله، وأندراوس ويوحنا يتبعانه، وأندراوس

يقود أخاه بطرس إليه. ثم وجد يسوع فيلبس وفيلبس وجد نثنائيل واقتاده إلى الرب بالإثارة التي نحصل عليها، عندما نلتقي بالأفراد في طريقنا، ونعلن استعدادنا لأن نقول كما قال فيلبس لنثنائيل: «تعال وانظر!» فلو أتي الآخرون. واختبروا ما يستطيع الرب أن يعمله في حياتهم، لقل عدد المتشككين في هذا العالم كثيراً.

بالقراءة بين السطور يبدو كما لو أن رابطة من الصداقة أو القرابة قد جمعت بين فيلبس ونثنائيل معاً قبل أن يوحدهما الرب معاً في شركة أسمى ويبدو أن الأول قد تأثر كثيراً بالثاني بسبب ثقافته وشخصيته النبيلة. كان كلاهما يهوديين محافظين مخلصين وكانا يتحدثان كثيراً سوياً عن إلههما، وأمتهما، وعن المواعيد المقدسة لفداء جنسهما. ولذلك، فعندما وجد فيلبس المسيا، نستطيع أن نتفهم حماسته المفرطة عندما اندفع ليخبر صديقه المقرب بالخبر السار. حتي لا يحدث انقسام فيما بينهما بل يكونان واحداً في المسيح. وعندما أصبحت أفكارهما العميقة ومشاركتهما الوجدانية متجانستين قبل كلاهما المسيح الذي جاء مخلصاً للعالم.

كان نثنائيل إذن، مديناً لفيلبس صديقه الذي قدمه للمسيح. ولو كان قد رفض أن يستجيب للدعوة، لأصبح هناك حاجز بين الاثنين، ولفقد كل منهما الآخر، ولفقد يسوع صديقاً ورفيقاً في خدمته. ولكن المعجزة حدثت، لأن كليهما قدر صداقة يسوع وهذا هو الذي قرب بين فيلبس ونثنائيل وقد عمل ذلك على صياغة روابط أوثق عما كانا يعرفانه من قبل. لقد وجد فيلبس في صديقه شخصاً كان على استعداد للاستماع لما قاله عن المسيا. فبلا خوف أو تردد أو اعتذار، أخبر فيلبس بأرائه وسمعه، وازدادت إثارة نثنائيل، وهو أيضاً سمع وآمن. لاشك أن القدوة التي نجدها في فيلبس مشجعة كثيراً لأولئك الذين قد يترددون في الحديث مع أصدقائهم عن المخلص الذي وجدوه. إنهم قد يتوقون ليشتركوا معناً في إدراك الفرح الإلهي الذي يمكن للنفس أن تحصل عليه - فرح الخطية المغفورة! وهكذا، فإن «فيلبس يكرس الصداقة، ويأتي بواحد من الذين يطلبون الله في صمت ويخجلون من نظرة العالم لهم، ليدخله التاريخ من أوسع أبوابه» «تعال وانظر» فالرؤية هي الإيمان!.

٤- رجل ذو تحيز واضح

عندما اقتحم فيلبس عزلة نثنائيل بصيحته المثيرة «قد وجدنا... يسوع الذي من الناصرة» اعتراه تحيز واضح قاده إلى الجواب «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟» كانت الناصرة كقرية ليست بعيدة فقط، ولكنها كانت قليلة الأهمية أو سيئة السمعة. ولم يكن نثنائيل مهتماً بمثل هذا المكان أو بأي واحد يعيش فيه، أو يأتي منه. كيف يمكن لأي رجل يأتي من تلك القرية الحقيرة أن يثير أي حماس! يقول بروس إن تحيز نثنائيل ضد الناصرة، غير المتوقع من شخص يتسم بهذه الوداعة وهذا اللطف، لا ينبع من الكبرياء كما في حالة أهل اليهودية، الذين احتقروا الجليليين عموماً، بل من التواضع، لقد كان هو نفسه جليلياً، وموضع احتقار اليهود كالناصريين، وكان تفكيره بينه وبين نفسه هكذا «لاشك أن المسيا لا يمكن أن يأتي من بين أناس محتقرين مثلنا - من الناصرة، أو من أي مدينة أو قرية جليلية أخرى».

عندما سرى شعوره بعدم التصديق كرد فعل أولى لنثنائيل على خبر المسيا، وقد دفعه تأثير الرأي العام إلى الاعتراض على الناصرة، وكان هناك ما يغذي تحيزه، لكنه كان مخطئاً حين سمح لهذا التحيز أن يغلق الباب في وجه تقصي الحقيقة والبحث عن الدليل حتى أنه أدان فيلبس في قلبه بقوله إنه لا يخرج شيء صالح من مثل هذا الاسم

سيء السمعة. فإذا كانت دهشة نثنائيل المشوبة بعدم التصديق مبنية على الجهل، فهي تدل على قلة الإطلاع، فكدارس للعهد القديم، كان يجب أن يعلم أنه لا يوجد تعارض بين النبوة والتاريخ الفعلي، فهو يوضح أنه من الممكن أن يولد الشخص في مكان ما وينشأ في مكان آخر، وأن يعيش أيضاً في بيئة حقيرة دون أن تلوثه شرورها، لقد جاء يسوع من الناصرة السيئة السمعة، ودعي ناصرياً، ولكنه كان بلا خطية.

فالتحيز أو الأفكار المسبقة يثبت غالباً أنها أكبر عقبة في سبيل قبول رسالة الإنجيل. يصف يوحنا بنيان، ببصيرته الفذة، في قصته المجازية الشهيرة «الحرب المقدسة» الدور المرعب الذي يلعبه التحيز في حياة البشر، فقد نتذكر كيف أنه عندما جاءت قوات عمانوئيل لتستولي على نفس الإنسان وجهت هجومها أولاً على (بوابة الأذن)، ولكن إبليس اتخذ تدابيره لملاقاتها، لأنه كان قد وضع على (بوابة الأذن) شخصاً يصفه بنيان بأنه «السيد تحيز» العجوز، وهو شخص غاضب سيء الطبع، ووضع تحت إمرته ستين رجلاً، أسماهم الرجال الصم – وهم أناس تخصصوا في القيام بهذه الخدمة لأنهم يرددون كلمات القادة لا الجنود، وبتفسير مثل بنيان نفهم أن آذان الناس تكون في الغالب مغلقة تجاه الإنجيل بفعل التحيز. أليس ذلك هو الذي جعل الأمة اليهودية ككل تظل صماء لدعوة المسيا؟ فالتحيز أعماهم عن جماله وجلاله الإلهي وقوته، وجعلهم يرفضون دعوته.

كان فيلبس حكيماً ولم يتوقف ليتجادل مع نثنائيل فآراؤه المسبقة قد اختفت عند رؤية يسوع، وعرف أن نفس الشيء سوف يحدث في اختبار الصديق الذي كان متهماً بأن يربحه للمسيح فالتحيز نادراً ما يتأثر بالمجادلات، ولكنه يتوارى عن طريق الحقائق، فلو كانت اعتراضات نثنائيل فكرية أو أخلاقية، لكان الموقف مختلفاً، ولكن فيلبس كان يعلم أن التحيز كان العقبة الوحيدة، فلم يعمل على زيادة المجادلة معه. كان يعلم أنه لو جاء نثنائيل إلى المسيح، فإن تحيزه سوف يختفي – كما حدث بسرعة. نحن نصبح أقوى ما يمكن فيما يتعلق بالحقائق والاختبار، وكلها مركزة في الحكمة واللباقة المتمثلين في رد فيلبس «تعالَ وانظر!».

كانت هناك أمانة كافية وراء كل تحيز لنثنائيل. كان على استعداد للاستماع إلى رفيقه. لم يكن لديه أي قدر من الغرور الخطير الذي يجعله يفترض أنه قد توصل لكل الحقيقة التي يمكن أن يعرفها، وأنه لا شيء يمكن للمستقبل أن يأتي به. كان يخفي بين جنباته ذلك الرجاء الهاجع بأن عينيه سوف ترى ذاك الذي تحدث عنه الأنبياء، وعندما رآه هزم تماماً. هناك العديدون اليوم من أمثال نثنائيل، الذين بالرغم من كل يقظتهم العقلية، تحوط بهم الكثير من المخاطر أيضاً، وأخطرها تلك الاعتراضات السطحية على الناصري نفسه وعلى دعاوي حقه، ففي أغلب الأحيان فإن هذه الاعتراضات تسد الطريق إلى الإيمان، وخاصة عندما تثير في الشخص المتحيز الإعجاب بمهارته الشخصية، والعلاج الوحيد لهذه الحالة وأفضل السبل الفعالة للتعامل معها، هو اتباع الطريقة التي اتبعها فيلبس مع نثنائيل «تعال وانظر!». عندما ترى عيون الناس الملك، رب الجنود، فإن الشكوك، والخلافات، والتحيزات تختفي سريعاً كما تختفي الظلمة عند شروق الشمس. فبالإيمان، يرون عن يقين مقدار الخير العميم الذي أتي من الناصرة.

٥– رجل ذو مشاعر دينية عميقة

لم يكن نثنائيل أو برثولماوس، ضالاً مبذراً يبذر أمواله في عيش مسرف. ففي كيانه اتسم بالأخلاق رفيعة المستوى. كان أقرب ما يكون إلى الشاب الغني. فبمجرد

أن وقف في حضرة المسيح، قال له: «هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» (يو ١:٤٧). وكسمعان كان ينتظر تعزية إسرائيل وكان مع جميع الأتقياء المنتظرين فداء في أورشليم (لو ٢:٢٥،٢٨) بعد لقاء نثنائيل لم يوبخه الرب بسبب تحيزه بل امتدحه لأجل فضائله المثلثة:

ثقته «هوذا إسرائيلي حقاً»

لابد أن نثنائيل كان مندهشاً لأن كلمات المخلص الأولى إليه لم تكن كلمات الإدانة لأجل معلوماته المسبقة وشكوكه في شهادة فيلبس عن اكتشافه للمسيا، بل كانت كلمات التهنئة لشخصه، كإسرائيلي حقيقي - يهودي، ليس بالصدفة أو بحكم الميلاد، بل كشخص وموقف. وإنه لذلك كتلميذ جديد كان عليه أن يتخلى عن القليل من العادات والأفكار! لابد أن الدهشة قد عقدت لسان نثنائيل، عندما امتدحه يسوع لثقته في إله إسرائيل. فقد كان إيمانه فطرياً، وأوحى إلى الآخرين بما كان يعتمل في داخله وبما كانت تنطوي عليه سجيته.

وما يجعل هذا التقييم الإلهي ملفتاً للأنظار حقيقة أن المسيح تفوه به للتلاميذ الآخرين الذين كانوا موجودين. ولكن نثنائيل، الذي لم يقبل المديح باقتناع وتسليم تام، قد سمعه أيضاً. وبما أنه كان يعيش لغرض أسمى من مدح أو ذم المحيطين به، فإن هذا الإسرائيلي الحقيقي كان أبعد ما يكون عن مستوى الرضا عن الذات، وقد سأل باتضاع الشخص الذي امتدحه عن كيفية معرفته به، فعند أول لقاء إذن، شهد يسوع لشخصية نثنائيل الجديرة بالاحترام، فهو «كإسرائيلي» حقاً، فقد كان رجلاً يخاف الله، رجلاً يتميز بالبساطة الحقة والأمانة. كان قد درس أسفار العهد القديم وفكر كثيراً في المواعيد المسيانية ورجاء إسرائيل. وقد أعطاه يسوع الذي كان قد قرأ ما في داخل قلبه تلك الشهادة المخلصة الفريدة عن كونه إسرائيلياً حقاً لأنه كان يجسد في أفكاره وحياته أسمى الصفات والتقاليد والثقة التي يتحلى بها الإنسان اليهودي المؤمن.

لقد عرف رجل الناصرة الشخصية السرية لرجل قانا. يخبرنا بولس أنه «ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون» (رو ٩:٦) وهذه العبارة توحي بأنه توجد أمة بداخل الأمة، واختيار بداخل الاختيار، واسحق في عائلة إبراهيم، ويعقوب في عائلة اسحق، ويوسف وبنيامين في عائلة يعقوب، وإسرائيليون كانت دعوتهم بالحق وكان اختيارهم كذلك من داخل الإسرائيليين بالاسم - وقد كان نثنائيل واحداً منهم! لقد رأى فيه يسوع ابناً حقيقياً للعهد، ابناً ليعقوب مطهراً من غش سلفه في أيام شبابه، دون أي قناع ديني. وقد أسفر إعجاب المسيح بالشخصية المثالية للرجل عن مديح صادق.

شفافيته : «لا غش فيه»

كان نثنائيل برثولماوس تجسيداً للإخلاص لم تكن له رؤية «مزدوجة» لم يلق الغش بالظلال على وجهه. ولأن يسوع كان عالماً بأن الشفافية هي الصفة البارزة في شخصيته، فقد امتدحه بإفراط كما فعل. كان يسوع يكره كل أنواع الرياء، خاصة الرياء الديني للكتبة والفريسيين. «فاستقرت عيناه الفاحصتان الخبيرتان بالرضا على الوجه الصادق لصديق فيلبس الحميم كمن وجد راحة في برية قاحلة تكسوها الرمال «لا غش فيه» ليس مديحاً ينطوي على تملق بل تهنئة حقيقية.

إن الكلمة الواردة مقابل «غش» هي نفس الكلمة الواردة مقابل «مكر» في الترجمة السبعينية لسفر التكوين ٢٧:٣٥ فالفكرة إذن هي «هوذا شخص ينطبق عليه اسم إسرائيلي، وليس فيه شيء من يعقوب» (تك ٢٧:٣٦) كان نثنائيل مثل يعقوب كأب من الآباء في حياة التعبد والتقوى، ولكنه كان يختلف عنه، لأنه كان خالياً من المكر في طبيعته.

يصف لنا داود الرجل الخالي من المكر في مزمور ١٥ «يارب من ينزل في مسكنك؟ من يسكن في جبل قدسك؟ السالك بالكمال والعامل بالحق والمتكلم بالصدق في قلبه. الذي لا يشي بلسانه ولا يصنع شراً بصاحبه ولا يحمل تعييراً على قريبه والرذيل محتقر في عينيه ويكرم خائفي الرب يحلف للضرر ولا يغير. فضته لا يعطيها بالربا ولا يأخذ الرشوة على البريء. الذي يصنع هذا لا يتزعزع إلى الدهر».

كان نثنائيل ملماً بالأسفار المقدسة القديمة. وكم من مرة تأمل في هذا المزمور وقد عزم في قلبه أن يكون شفافاً، ومخلصاً وبعيداً عن أي معايير مزدوجة.

إن الصراحة فضيلة غير محببة في هذا القرن تماماً كما كانت في القرن الأول، عندما نقول: «إن فلان الفلاني شخص صادق وصريح» فإن العبارة تنم عن إشفاق يدعو للامتهان. فنحن لم نعد نستخدم الكلمة بإطراء ومجاملة. فكثير من جوانب الحياة العصرية يشوبها الخداع والغش والخديعة، ولكن الأمانة وبساطة الروح، ليس شيئاً يدعو للاحتقار، لأن البساطة كما قصدها يسوع. أثمن من اللآلي. فهو الذي قال «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

كان نثنائيل صافياً كالنهار لم ينزل أبداً بمستواه إلى وسائل الغش والخداع. كان رجلاً يمكن أن يثق فيه أي شخص ولذا فقد كان يستحق تحية يسوع الحارة، ولأنه كان صادقاً وكان ذكاؤه حاداً وكان ذا بصيرة روحية فقد عرف على الفور في يسوع، المسيا الذي طالما كان يتوق إليه.

مكان لقائه – «تحت التينة»

يبدو أن نثنائيل كان في بيته عندما دعاه فيلبس ليطلعه على خبر المسيا السار، وأنه وجد صديقه الحميم تحت شجرة التين التي في حديقته الخاصة، فالأصدقاء المقربون عادة يعرفون عادات بعضهم البعض. وشجرة التين «شعار الأمة اليهودية» (مت ٢٤:٣٢) كانت الشجرة المفضلة التي كان اليهود يستريحون تحتها للصلاة والتأمل (١مل ٤:٢٥، مي ٤:١-٦، زك ٣:١٠) ولذلك فقد كان نثنائيل عادة يلتقي بالله تحت شجرة التين الخاصة به، وليست تلك التي على نواصي الشوارع حتى يراه الناس كما كان يفعل الفريسيون، تحت ظل الشجرة، ظن أنه مُخفى عن كل العيون، إلا أن هناك عيناً كانت تراه من قبل ذاك الذي لا يخفي عليه شيء ما «وأنت تحت التينة رأيتك». واحد فقد كان يعلم بذلك الحوار المقدس مع السماء، وذلك الواحد يقف الآن أمام تلك النفس المعقدة. لقد رأت عيناه ما أخفته أوراق التين عن أعين الجميع، وسمعت أذناه تلك الصلوات، التي كانت أكثر ألفة من أن تسمعها الآذان البشرية.

شجرة التين الثمينة هذه كانت إذن مكان لقاء نثنائيل، المخدع السري حيث كان يستغرق في التفكير في الأسفار المقدسة، ويسكب قلبه أمام الرب. ومع أنه من الواضح أنه كان صياد سمك بالحرفة، إلا أن اهتمامه الرئيسي لم يكن منصباً على البحر، بل كان مهتماً بشجرة التين حيث كانت روحه مرتبطة بالله وحيث كان يرى «الملك في بهائه». وقد كوفيء برؤية الله في الجسد، ولو أننا فهمنا امتياز وقوة الصلاة، بالإضافة إلى طبيعتها وضرورتها، لا بتلت التربة تحت شجرة التين الخاصة بكل منا بدموع اللجاجة في الصلاة. ولو أن زملاء نثنائيل من الصيادين لم يروه في قاربه، لعلموا عن يقين أنهم سوف يجدونه تحت ظل شجرة التين في حديقة بيته المتواضع.

يقدم وليم لو في «الدعوة الخطيرة» وهو كتاب قيم لا يلقي الاهتمام اللائق في أيامنا هذه – يقدم لنا هذه النصيحة: «صل دائماً في نفس المكان، احجز ذلك المكان

للتعبد، ولا تسمح لنفسك أبداً بأن تفعل فيه أي شيء معتاد».

فهذا اسحق ومكانه المفضل – كان ذلك الحقل الأخضر عند نبع الماء.

وكان مكان إيليا المفضل – مغارة في الجبل.

وكان مكان يسوع المفضل – بستان جثسيماني.

ويمضي وليم لو إلى القول: «إن ذلك يعدك لتكون دائماً في روح الصلاة، فعندما تكون هناك لوحدك، يغمرك بالأفكار المقدسة والحكيمة. المكان السري الذي حجزه نثنائيل للتأمل والصلاة جعل منه الإسرائيلي الحقيقي الذي لا غش فيه والذي أعلن عنه يسوع، لأنه كان يتصرف بروح الديانة الحقة. ولذا فإني أرجو يا صديقي، أن يكون لك أنت أيضاً مكان مفضل يخصص للتأمل لك غرفة داخلية، أو ركن صغير يمكنك أن تلجأ إليه للتأمل. حين قال «ادخل إلى مخدعك وصل»؟ ليت الطريق المؤدي إلى شجرة التين في حديقة حياتك لا يهمل ولا تكسوه الأعشاب. يطابق شجرة نثنائيل، ألم يقصد يسوع أن يكون لك.

شهادته «أنت ابن الله – أنت ملك إسرائيل»

إن القلوب العابدة والمخلصة في إسرائيل، والتي تتوقع بشغف مجيء مسيح الرب، تعرفت عليه على الفور. عندما رأى سمعان الشيخ الطفل يسوع، كان على استعداد أن يموت بسلام لأن عينيه قد أبصرتا الشخص الذي جاء بوصفه «نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو ٢:٢٥-٣٥).

«ولما أبصرت حنة ذلك المولود من مريم العذراء، وقد كانت متقدمة في أيام كثيرة، لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً وقفت تسبح الرب، وخرجت من الهيكل وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم» (لو ٢:٣٦-٣٨). إن قداسة الحياة والأشواق القلبية لرؤية المسيا، خلقت إحساساً روحياً بديهياً. جعلتهم يعرفون ذاك المرسل من الله، بمجرد رؤيتهم له.

كان ذلك هو الحال مع نثنائيل التقى الذي بمجرد أن أعلمه يسوع أنه يعرف كل شيء عنه، آمن وصاح قائلاً: «يا معلم، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» لم يكن لديه شك في هوية ذلك الشخص يجعله يتساءل قائلاً «هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» فبكل تأهب اعترف بربوبيته وأعلن عنها، وعندما قال يسوع «هل آمنت لأني قلت إني رأيتك؟» فليس لدينا هنا فقط تأكيد لإيمان نثنائيل، بل تعبير عن دهشة المخلص وفرحه لقبول هذا الإسرائيلي له، فالذي قرأ خبايا قلبه، ودخل إلى أدق أسرار حياته، قد تم الترحيب به كالمعلم، وكابن الله، وكملك إسرائيل، وهكذا كان هناك انفتاح آخر في جوانب كيانه نحو الشخص الذي دعاه، استطاع أن يدفعه للاعتراف قائلاً: «لقد وجدت المسيا». إننا نذكر أن السامرية قد انجذبت بالمثل نحو ذلك الغريب الذي قرأ فكرها عند البئر. ومع أن شخصيتها وحالتها كانتا مختلفتين عن شخصية وحالة نثنائيل، إلا أن موقفها كان مشابهاً: «هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح؟».

وعندما صدر اعتراف نثنائيل الخاطف كسرعة البرق من شفتيه تعبيراً عن إيمانه، كان هذا الاعتراف متضمناً الاعلان عن لاهوته وسلطانه، لأنه كان يعلم أنه ليس أحد سوى ابن الله، الملك العليم بكل شيء، كان يمكنه أن يخترق حجب أفكاره، أن يفهم رغبات قلبه وهو يصلي ويتأمل في الأسفار المقدسة تحت شجرة التين. إن التحقق من هوية يسوع قد أعطى لنثنائيل قوة اقتناع لا تقاوم لم يكن بحاجة لشخص كي يخبره عمن هو ذلك الشخص الذي أمامه. وبدون تردد. وبتأكيد تام لُقب يسوع بلقبين من أسمى ألقابه المسيانية التي كانت ضمن التوقع المسياني

لذلك الوقت (مت ٢١:٥، ٢٦:٦٣، يو ١١:٢٧، ١٢:١٣،١٥).

وهكذا كما يقول اليكوت في تعليقه:

«الاعتراف يولد الاعتراف. إن تلك الحضرة الغريبة التي شعر بها كانت بمثابة قوة روحية تحيي فيه الأمل وتجعله يفكر، مما جعل كلمات الأنبياء حقائق حية، ودبت الروح في تلك المعتقدات القائمة وقتئذ بخصوص المسيا، وأضحت ذات معنى حقيقي - نعم كان هذا هو الفكر الذي يشغل باله وقتئذ مرة أخرى ها هو أمامه - «أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل».

٦- الرجل الذي نال مكافأة مجيدة

كانت مكافأة إيمان نثنائيل تتناسب مع إخلاصه، وكان تدفق بركات المسيا سريعاً كقبوله له. ولأنه آمن أن الرب قد عرف كل شيء عنه عندما كان تحت شجرة التين، فقد حصل على الوعد «سوف ترى أعظم من هذا». كانت مكافأة إيمانه، قدرة استيعابية أكبر على الإيمان، وكان مكافأة رؤيته مناظر أكثر وضوحاً. كان لابد من توسيع دائرة استيعابه للإيمان حتى يستطيع متابعة معرفة الرب معرفة أكمل وأشمل. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً نما إيمانه، ليس من منطلق أنه معروف من الله، بل من منطلق أنه عرف الله. «كانت السماء والأرض بالنسبة له متحدثين، وكان ابن الله الذي قبله كابن الإنسان يقوده من الواحدة إلى الأخرى».

إن نثنائيل الذي من المحتمل أنه أدرك مجد المسيح أكثر من أي تلميذ آخر، كان ليشهد بوجه مكشوف مجده الأسنى. اقترح كاتب أننا يمكن أن نقيم البرهان الرئيسي على رسولية نثنائيل من الوعد القائل «الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان».

دعنا نفحص «الأشياء الأعظم» في هذا الإعلان المقصود به تقوية إيمان نثنائيل.

الحق، الحق

هذا الختم المزدوج على وعد العهد الجديد كان يعني أن كل ابن في إسرائيل الروحي له أن يطالب بمزاياه ويتمتع ببركاته، ومن المثير أن نلاحظ أن هذا أول استعمال لهذه الصيغة من الكلمات المزدوجة، وهي غير موجودة في العهد الجديد بخلاف إنجيل يوحنا. وحينما يستخدمها ربنا - الذي يستخدم وحده كلمة الحق بصورة مزدوجة - تكون دائماً مرتبطة بحقيقة أعمق، توجه إليها الأنظار، الحق، الحق تمثل بصيغة متكررة كلمة آمين العبرية، الشائعة في العهد القديم كظرف، وقد وردت مزدوجة مرتين (عد ٥:٢٢، نح ٨:٦) يستخدم يوحنا كلمة آمين كاسم علم لـ «الشاهد الأمين الصادق» (رؤ ٣:١٤).

تـــــــــرون

وجهت الكلمات الأولى شخصياً لنثنائيل ولكن الحقيقة التي يعبر عنها يسوع الآن هي لجميع التلاميذ لأندراوس، ويوحنا، وبطرس، ويعقوب وفيلبس، كما هي لنثنائيل أيضاً ولكل الذين كانوا يسمعون أقواله - كما هي أيضاً لقديسي الأجيال التالية. ليت الكنيسة اليوم تصغي لصوت السيد «سوف ترون أعظم من هذا». إن تغيير الضمير من المفرد «سوف ترى» إلى صيغة الجمع يعني أن هذا الوعد بالإعلان هو لجميع الرسل، ولجميع الذين يتبعون المسيح.

السموات مفتوحة

ورد الفعل في الأصل بصيغة الماضي والحاضر - فُتحت ومازالت مفتوحة، عند التجسد شقت السموات، ونزل الله في المسيح، وها هو يقف أمام نثنائيل كالإجابة لأشواق روحه. فمنذ ذلك الوقت فصاعداً كان شخصه، وعمله، وتعليمه، وموته وقيامته كلها لتوضح بترتيب متصاعد عمل المسيح

كوسيط لأجلنا فبعد أن قبل نثنائيل يسوع كالمسيا، كان لابد له أن يحصل على إعلانات سماوية مدهشة ليفكر فيها ولتقوية إيمانه ليستطيع مواجهة كل ما يأتي به المستقبل.

ملائكة الله يصعدون وينزلون

يبدو أن لدينا هنا إشارة واضحة لسلم يعقوب في حلمه في بيت إيل (تك ٢٨: ١٢، ١٣) هل يمكن أن يكون أنه عندما رأى يسوع نثنائيل يقرأ في السجل المقدس تحت شجرة التين في بيته، أنه عرف كالعليم بكل شيء أنه يقرأ هذا الأصحاح الرائع؟ إن كان الأمر كذلك، فإذا كان نثنائيل على وشك أن يذهب من بيت أبيه في قانا لكي يتبع يسوع فإنه كان بحاجة للتشجيع ليعرف أن الرب سوف يكون له بمثابة ما كان لكل آباء القوم. بالإضافة إلى أننا ينبغي أن نلاحظ أن الملائكة هم الذين يصعدون وينزلون على السلم، مما يوحي أنهم مع يسوع دائماً، تحت تصرفه لكي يستخدمهم كما يشاء. ونفس هذه الكائنات الملائكية سوف تخدم العتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ١: ١٣ . ١٤). ولذا فلنا نصيب في بركة نثنائيل لأن خدمات الملائكة تعطي لنا لأننا ورثة مع المسيح.

لقد أتاح يسوع لكل من يؤمن به التواصل مع السماء، والعلاقة مع الله، ويمكن تمثيل هذه الأشياء بالسلم، السر الذي أعلن في الصليب، والملائكة على درجات سلم بيت إيل تطير بجناحي الإيمان والصلاح. فالوعد، إذن، بتقديم بركة يعقوب لرسول المسيح الجديد هي لكل السائرين في طريق الإيمان. وبالنسبة لنثنائيل، لن يكون له مجرد الامتياز البسيط برؤية سلم منصوبة على الأرض بجوار وسادة النائم المنهك، ورأسها عند عرش الله. كلا، إن المكافأة المباركة لهذا القلب النقي سوف تكون التجربة المثرية دائماً وأن مسيا الذي وجده حديثاً سوف يمشي معه كل الطريق – كالرب، والصديق، والرفيق، والمدير، والحامي، والكل في الكل له.

ابن الإنسان

عبر نثنائيل حالاً عن يقينه التام بأن يسوع هو ابن الله، والآن فإن يسوع يفضي إليه بأن له لقباً آخر. أقل رفعة وشأناً ولكنه ليس أقل نفعاً، وأكثر فائدة لرجل في الحالة العقلية لنثنائيل – ابن الإنسان، فيسوع كابن الله، قادر على أن يعلن من هو الله – صالح ورحيم وقدوس. وكابن الإنسان فهو يعلم من هو الإنسان – ضعيف ومحتاج ومجرب بشدة، وكالاثنين معاً، فنحن يجب أن نعبده، ونضع ثقتنا فيه، ونتبعه ونطيعه.

هذا اللقب المعتاد، ابن الإنسان، والذي استخدمه ربنا أكثر من سبعين مرة، يستخدم هنا أمام تلاميذه لأول مرة. كابن الإنسان فهو الممثل الحقيقي للجنس البشري، آدم الثاني، الذي به يحيا الجميع. إنه ابن الإنسان، أي إنسان مثلنا، ليس يهودياً كشخص أقدس من اليونانيين، وليس حراً كشخص أكثر نبلاً من العبد، وليس رجلاً كشخص متميز عن المرأة، بل كممثل للبشرية في كل مكان وزمان وظرف في كل ضعفها وقوتها، في أحزانها وأفراحها، في موتها وحياتها. وكابن الإنسان، فإن يسوع يعرف كل ما يتعلق بحاجاتنا البشرية ومشكلاتنا. وكابن الله فهو قادر على تلبية كل هذه الاحتياجات وحل المشكلات. إنه بكل معنى الكلمة السلم المنصوبة على الأرض، والممتدة إلى السماء. بالتجسد، اتخذ اللاهوت جسداً بشرياً على الأرض، وبالصعود ارتفعت البشرية إلى السماء، حيث قمة المجد حين يتمجد الجسد الترابي ويجلس على عرش.

الإشارة الأخيرة التي لدينا عن نثنائيل حين نراه هو وستة آخرون يعودون إلى حرفة الصيد القديمة (يو ٢١: ١٥–١٧) هل كانت العودة إلى ممارسة الصيد مرة أخرى نوعاً من الاسترخاء لهؤلاء الرجال الذين أصابهم الإرهاق بسبب الحزن، والدهشة والمراقبة! أم أن هناك

شعوراً طاغياً قد لحق بهم جعلهم يعتقدون أنه من الأفضل أن يكونوا صيادي سمك بسطاء على أن يكونوا رسلاً ليسوع؟

بعد أن تركوا شباكهم ليتبعوه، هل كانوا يتوقعون شيئاً أفضل؟ وبتعبير آخر، هل بعد أن وضعوا أيديهم على المحراث بدأوا في النظر إلى الوراء؟ إن ليلة سيئة على شاطيء البحر أيقظت صيادي السمك من حلمهم الوردي «لم يصطادوا شيئاً في تلك الليلة».

ولكن الشخص الذي عرف كل ما يدور بخلد نثنائيل تحت شجرة التين. كان يعلم بكل عثرات صيادي السمك المحبطين وعندما طلع النهار «وقف يسوع على الشاطيء»، ومعه إفطار مطهي قد أعده لهم. إن تلك النار قد أوقدها، والسمك الذي كان قد أعد لهم، شفاهم من همومهم الأرضية، ثم أعطاهم علامة أو رمزاً ليشجعهم في عملهم الرسولي المستقبلي. لقد أسفر الصيد الليلي في بحر الجليل عن فشل تام لأن مجهودات الرسل كانت مركزة على إرضاء النفس. قال بطرس «أنا أذهب لأتصيد» فأجاب الستة الآخرون: «نذهب نحن أيضاً معك» فلا عجب أن كانت النتائج أيضاً عقيمة لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يصطادوا حتى القليل من السمك للإفطار بعد عناء ليلة شاقة، ولكن عندما مضوا للصيد بناء على أمر المسيح، كم كان الصيد مختلفاً، كانت كمية السمك كبيرة جداً لدرجة يصعب الإمساك بها. هل كان ذلك رمزاً لحصاد النفوس الذي كان عليهم أن يجمعوه كما أمرهم الرب في مستقبل عملهم الرسولي عندما ألقوا شباكهم على يمين السفينة؟ وكما أطعم يسوع أفواههم الجائعة، هكذا كان عليهم أن يمضوا قدماً لإطعام الجموع بخبز الحياة - وهي خدمة مجيدة كان على نثنائيل أن يشارك فيها، مع أنه بعد حادثة شاطيء البحر لم يذكر اسمه مرة أخرى.

عندما التقى هذا الرسول البسيط أولاً بيسوع، كان قد تأثر كثيراً بعلمه بكل شيء - والآن لابد أنه خاف كثيراً بسبب قوة الرب القادر على كل شيء، كان الأمر يتطلب كمية كبيرة من السمك والخبز لإطعام سبعة نفوس جائعة أمضوا الليل كله خارج البيت. فهم أنفسهم لم يصطادوا شيئاً وكان عليهم أن يبحثوا عن وجبة في مكان آخر، ولكن يسوع كان معه إفطار شهي معداً لهم. لابد أن نثنائيل قد سأل نفسه هذا السؤال: من أين حصل على السمك والخبز؟ حسناً، إن البحر ملكه، وهو الذي صنعه، ولذلك فقد كانت له السيطرة على كل السمك الذي فيه (مز ٨:٨) ومعجزة الإستار في فم السمكة تثبت ذلك (مت ١٧:٢٧).

نحن نودع هذا الرسول الجذاب مع أننا كنا نرغب أن نعرف المزيد عنه وليس في حوزتنا سوى مشهدين عنه، ثم يختفي، تاركاً إيانا وليس لدينا سوى التخمين بما أنجزه السيد على يديه في العمل الرسولي، وكيفية تحقيق الأقوال النبوية عنه. إن عناصر شخصيته التي ذكرها المسيح تحتوي على سر جماله الأخلاقي. فإذا كان يعيش في الحق، بعد اللقاء بذاك الذي جاء كالحق، فإن معرفته قد تمت في كل الاتجاهات، فالمديح الذي تلقاه من المسيح - يفوق أي مديح آخر تلقاه أي واحد من الاثنى عشر - قد كشف عن خامة واعدة تعامل الرب معها. ونحن لا نستطيع سوى أن نؤمن أنه كان معه، دائماً، وأن ذلك الرجل الذي لا غش فيه أخضع نفسه دائماً وبتأهب وحماس لأمر معلمه، وانه أظهر تقدماً سريعاً في القوة الروحية والجمال الأخلاقي وبعد إدراج اسمه مع الرسل الآخرين على شاطيء البحر، وفي قائمة سفر أعمال الرسل ١٣:١، يخيم الصمت، وتصبح حياته التالية مخفية عنا، ولكن يمكننا بالرغم من ذلك، أن نتخذ من هذا العبراني البسيط مثالاً لنا، ومن مديح المسيح له تشجيعاً لنفوسنا.